الهجرة الأندلسية إلى بلاد المغرب الأوسط وظاهرة بناء المدن.. مدينة تنس انموذجا

Andalusia migration to the Maghreb and the phenomenon of building cities ... The city of Tennis model

د. بوزرينة سعيد

المركز الجامعي نور البشير – البيض

تاريخ الاستلام: 2019/04/20 تاريخ القبول للنشر: 2019/05/20

الملخص بالعربية/

يمكن تأريخ الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأوسط عبر مساره التاريخي وحواضره السياسية منذ القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي وذلك من خلال ثلاث مراحل أساسية، بداية من (2 – 5هـ/8 – 11م)، و(5 – 7هـ/11 – 13م)، و(7 – 9هـ/13 – 15م)، وما ساهمت هذه الهجرات بقدر كبير في إثراء البنية الإجتماعية والتأثير في شؤون الحياة السياسية، وفي إنشاء العديد من المدن والثغور على طول سواحل المغرب الأوسط والاستقرار بها، ومن بين هذه المدن على غرار مدينة وهران، نجد مدينة تنس الساحلي

الملخص بالأنجليزية

الكلمات الإفتتاحية: الهجرة الأندلسة، مدينة تنس، المغرب الأوسط، المدينة الإسلامية، الحملات الصليبية.

Arabic Abstract

Middle East and the phenomenon of building cities... Tennis City model.

Andalusia migration to Central Morocco can be traced back to its historical course and its cities Political, political, political, economic, political، Beginning from (2 - 5/8 - 11 m), (5 - 7 e / 11 - 13 m), and (7 - 9 e / 13-15 m) These migrations greatly contributed to enriching the social structure and influencing affairs Political life and the establishment of many cities and holes along the coasts of the Middle Maghreb, And its stability. Among these cities is similar to the city of Oran, we find the coastal city of Tennis.

Abstract in English

Opening words: Andalusia migration, Tnes city, Middle Maghrib, Islamic city, campaigns Crusader.

شهد المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، وافدا جديدا ساهم بقدر كبير في إثراء البنية الإجتماعية والتأثير في شؤون الحياة السياسية، وابتداءا من منتصف القرن الثاني والثالث للهجرة الموافق للقرنين الثامن والتاسع الميلاديين، وفي إطار التعاون السياسي والتجاري المشترك بين الدولة الأموية في الأندلس، والرستمية في المغرب الأوسط وبحثا عن الأمن والاستقرار، ساهم عدد من الأندلسيين في إنشاء العديد من المدن والثغور على طول سواحل المغرب الأوسط والاستقرار بها، ومن بين هذه المدن على غرار مدينة وهران، نجد مدينة تنس[1].

- **الهجرات الأندلسية إلى المغرب الأوسط:**

يمكن تأريخ الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأوسط عبر مساره التاريخي وحواضره السياسية منذ القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، والى قيام دولة بني زيان، وذلك من خلال ثلاث مراحل أساسية:

- المرحلة الأولى(2 – 5هـ/8 – 11م):

كان تردد العنصر الأندلسي على المغرب الأوسط بشكل ضعيف خلال القرون الخمسة الأولى، ويعود السبب في ذلك إلى غياب دواعي الاستقطاب، لا سيما المحفزات

[1] فؤاد طوهارة، " الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأوسط السياق التاريخي والمجال الجغرافي "، مجلة حوليات التراث، العدد 15، جامعة قالمة، الجزائر، 2015، ص158.

العلمية، وفرص العمل في وظائف عامة كالقضاء والتعليم والكتابة وغيرها، وأيضا من الدواعي السياسية المستقطبة للكفاءات، فرغم وجود تاهرت كحاضرة علمية إلاّ أنّ الاختلاف المذهبي حل دون تشجيع على ذلك، مقارنة بدول الجوار كالقيروان خلال العهدين الأغلبي والزيري، وفاس ومراكش خلال عهد الأدارسة، وفترة المرابطين والموحدين من حيث كونها من كبريات الحواضر في المغرب الإسلامي الأكثر استقطابا للأندلسيين[1].

أمّا في القرن (4هـ/10م)، ورغم الازدهار الذي شاهدته إمارة بني حمدون تحت حكم الفاطميين، فلم تشهد مدينة المسيلة استقطابا للعنصر الأندلسي، على غرار قلعة بني حماد في المعاضيد التي لم تستطع أن تكسب رهان المنافسة مع القيروان وفاس.

وبالمقابل فقد تطورت حركة الهجرة ونزوح الجالية الأندلسية للعديد من المدن الساحلية مثل بونة وبجاية وتدلس وتنس ومدينة الجزائر، واستحوذت على التجارة بها[2].

وتبدو أول هجرة أندلسية واضحة نحو الجزائر "جزائر الثعالبة "على إثر سقوط سرقسطة البيضاء عام (512هـ/1121-1120م) واستقرارهم في أعالي مدينة الجزائر وموطن استقرارهم بحي أو **حومة الثغريين** ولا تزال الهضبة التي استوطنوها تحمل اسمهم إلى اليوم، ويعود لهم الفضل الأكبر في إحياء المنطقة والقضاء على أحراش بوزريعة واستصلاح غابات المنطقة، لقد كان خط سير الثغريين من

[1] علاوة عمارة وآخرون، مغرب أوسطيات، دراسات في تاريخ وحضارة الجزائر في العصر الإسلامي الوسيط، ط1، منشورات مكتبة إقرا، الجزائر، 2013، ص91.

[2] عبد العزيز فيلالي، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ، 1982، ص102. **وانظر** أيضا: فؤاد طوهارة، المرجع السابق، ص158، 159.

سرقسطة البيضاء أيام حكم أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين (537هـ/1143م)، فقد حملهم الأسطول المرابطي العامل في السواحل والجزر المرابطية من ميناء ألمرية إلى المدينة وقد كانت الحاضرة المرابطية الشهيرة بالمغرب الأوسط[1].

– المرحلة الثانية (5 – 7هـ/11 – 13م):

في هذه المرحلة نجد نشاط في حركة الهجرة، مقارنة بما كان عليه الوضع في المرحلة السابقة، حيث أخذ عدد المهاجرين الأندلسيين في تزايد، وذلك بسبب عدم استقرار السياسي في الأندلس، وأيضا بداية حركة الإسترداد التي تتزعمها الكنيسة لطرد الوجود العربي الإسلامي في المنطقة، وكانت البداية بسقوط طليطلة (478هـ/1085م)، ثمّ تبعتها سرقسطة (512هـ/1118م)، ثم انهزام المسلمين في معركة العقاب سنة (610هـ/1212م) ويسامّيها النّصارى (لاس نافا سدي تولوسا)، فسقطت قرطبة (633هـ/1235م)، وبلنسية (636هـ/1238م)، واشبيلية (646هـ/1248م)، ممّا جعل سكان تلك المدن يتوجهون إلى غرناطة أو مدن المغرب الإسلامي وفي مقدمتها تلمسان ووهران بحكم القرب الجغرافي[2]، وبسقوط ألمرية على يد الصليبيين الفرنسيين من بروفانس وإمارة لانغدوك (*Langue d'oc*) جنوب ووسط فرنسا، وكانت محطة استقرارهم الأولى بجاية الناصرية ثم تحولوا في ظروف لا نعلم دواعيها إلى

[1] فرنان برودويل، المتوسط والعالم المتوسطي، تعريب: مروان أبي سمرا، ، دار المنتخب، بيروت،1993، ص47

[2] مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، الأحوال الاجتماعية، منشورات الحضارة، 2009، ص77.

فحص الجزائر، وكان استقرارهم ببساتين ثامنتفوست لقرب سهول المنطقة من المرافئ البحرية للجزائر الشرقية[1].

– المرحلة الثالثة(7 – 9هـ/13 – 15م):

يمكن تأريخ هذه المرحلة من نهاية القرن السابع الهجري إلى غاية سقوط غرناطة آخر معقل للمسلمين بالأندلس.

لقد نشطت الحملات الصليبية خلال هذه المرحلة على أرض الأندلس، وتنادى ملوك النصارى في ممالكهم القوية، بل وفي أوروبا كلها لنصرة الصليب، والوضع السياسي المتعفن في الأندلس أدى إلى اندفاع جيوش النصارى في حماسة وشوق لاقتلاع الوجود الإسلامي وتنصير الجزيرة.

كما شهدت هذه المرحلة سقوطا متواليا ومخزيا لكبريات الحواضر الإسلامية في الأندلس، وهو ما حتم على الأهالي الاختيار بين الهجرة أو التهجير أو التقتيل أو التنصير[1].

---

[1] تقع ثامنتفوست أو روسقونيا القديمة، على بعد 24 كلم شرق مدينة الجزائر، ، ويقصد بثامنتفوست الجانب الأيمن، واسمها قديمًا روسقونيا المتكون من كلمة روس البونية الأصل وتعني قمة أو رأس، ومعناها: قمة أو رأس الأدغال، عمرها الرومان، وآثارهم الباقية إلى اليوم، لا تزال شاهدة على تعميرهم لها، وكانوا قد أزالوا الآثار الفينيقية، حيث كانت تمثل مرفأ السفن ومنطقة تخزين السلع الفينيقية، ثم عمرها الأندلسيون وكوّنوا منها حصنًا وقلعة في عهد الجزائر العثمانية، وكانت من ثامنتفوست تنطلق السفن لحماية الساحل الشرقي، وقاموا بتعمير المنطقة الفلاحية، وهذا بما جلبوه من خبرات في الري، ومد القنوات لسقي البساتين. انظر: تامنتفوست (روسقونيا القديمة، الجزائر)، الوكالة الوطنية للآثار وحماية المعالم والنصب التاريخية،.1998 ص3.

- **بناء مدينة تنس من طرف الأندلسيين:**

– الموقع الفلكي والجغرافي للمدينة:

تقع مدينة تنس الإسلامية (تنس القديمة)[2] ببلدية تنس[3] التابعة إداريا لدائرة تنس على سفح الجبل الظهرة المطل على المدينة، بين خطي طول 18° درجة و اثنا عشر

---

[1] عمارة سيدي محمد، هجرة الأندلسيين الى بلاد المعرب الأوسط خلال القرن (7هـ/13م) ودورهم الثقافي، مذكرة الماجستار، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، السانيا، الجزائر، 2014، ص08.

[2] تحتل بلدية تنس جغرافيا القسم الشمالي الغربي لدائرة تنس، و تمثل على طول الساحل البحر المتوسط في شكل شريط طوله 20 كلم من الشمال الشرقي إلى الشمال الغربي، و على عمق 2 كلم من الشمال إلى الجنوب. يحدها من الجنوب بلدية سيدي عكاشة، من الشرق بلدية وادي قوسين، و من الشمال البحر الأبيض المتوسط، و من الغرب بلدية سيدي عبد الرحمن على مساحة 100.22 كلم^2 .

[3] أما دائرة تنس: تقع بين دائرة شرشال التابعة لولاية تيبازا شرقا، و الحدود الشرقية لولاية مستغانم غربا، يبلغ طول ساحلها 90 كلم، وتبعد عن مقر ولاية شلف حوالي 53 كلم على طول الطريق الوطني رقم 19، كما تبعد عن ولاية الجزائر بـ 210 كلم على طول الطريق الوطني رقم 11 و الذي يصل إلى غاية ولاية مستغانم طوله أربع مراحل عند عبد الواحد المراكشي. ولقد اعتمد كل من سبقني في تحديد الموقع الفلكي لمدينة تنس على المقال الذي نشره بن شنب في الموسوعة الإسلامية، و هذا التحديد هو لمدينة تنس كدائرة إدارية، و ليس للمدينة الإسلامية.لمزيد من المعلومات، أنظر:

- عبد القادر حليمي، جغرافية الجزائر (الطبيعية، البشرية، الاقتصادية)، ط2، مطبعة الإنشاء سوريا، 1968م، ص 80.
- ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، تحقيق العربي إسماعيل، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982 م، ص 142.

دقيقة 12' غربا، وعرض 33° و 20' دقيقة، فهي محصورة من الجنوب إلى الشمال الغربي بواد علالة الذي تصب مياهه في البحر الأبيض المتوسط، و من الغرب إلى الجنوب الغربي المدينة الحديثة (المباني التي تعود إلى الفترة الفرنسية الاستعمارية) و يفصلهما عن بعضهما الطريق الوطني رقم 19، ومن الجنوب يطل عليها جبل قيصر إداريا لدائرة تنس على سفح الجبل الظهرة المطل على المدينة، بين خطي طول 18° درجة و اثنا عشر دقيقة 12' غربا، وعرض 33° و20' دقيقة، فهي محصورة من الجنوب إلى الشمال الغربي بواد علالة الذي تصب مياهه في البحر الأبيض المتوسط، ومن الغرب إلى الجنوب الغربي المدينة الحديثة (المباني التي تعود إلى الفترة الفرنسية الاستعمارية) ويفصلهما عن بعضهما الطريق الوطني رقم 19، ومن الجنوب يطل عليها جبل قيصر.

ترتفع المدينة الإسلامية عن مستوى سطح البحر بـ 60 م، و بالتالي تقع على شبه هضبة يميل طرفيها الشرقي والغربي إلى غاية 40 م عن مستوى سطح البحر. تحف بها سلسلة من الجبال تحاصر المدينة من كل الجهات، ولا تشرف على البحر إلا من الجهة الشمالية الغربية، وهي المنفذ الوحيد إلى البحر.

يسود المنطقة مناخ البحر المتوسط، و يتصف بالحرارة والجفاف صيف وبالبرودة والمطر شتاءا، وتصل نسبة الرطوبة بها إلى غاية 85 ٪ خاصة في فصل الربيع، والصيف هذا ما أثر على عمران المنطقة، وعمارتها. تصل كمية الأمطار بمدينة تنس حوالي 501 ملم، وهذا النقص في كمية الأمطار راجع لكون الرياح الشمالية[1].

[1] عبد القادر حليمي، المرجع السابق، ص53.

عادة ما تفرغ شحنتها المطرية على أسبانيا قبل الوصول إلى السواحل الغربية، ولهذه المزية كان معدل الأمطار بالغرب الجزائري ضعيفا، إذا ما قيس بالشرق الجزائري، وعموما فإن ما بقي من الشحنة المطرية يسقط على مستوى جبال مدينة تنس، لذلك تنقص كمية الأمطار كلما اتجهنا نحو الداخل، أمّا درجة الحرارة فإنها تنقص، وتزيد حسب الفصول[1].

قبل أن نحوض في مدينة تنس الإسلامية، علينا تبيان المراحل التاريخية للمدينة:

- **المراحل التاريخية للمدينة:**

لقد بنيت المدينة الإسلامية على أرض عذراء، ولم تشهد أي بناء أو عمران قبلها، وذلك بالرغم من أن المنطقة تشمل على مواقع كثيرة قديمة يعود بعضها لما قبل التاريخ، و تدل على ذلك المكتشفات الأثرية، ومنها القلعة التي تشرف على البحر وعندما حل المستعمرون الفرنسيون بالمنطقة أنشأوا المدينة الحديثة على أنقاض الآثار القديمة، ونجت المدينة الإسلامية من التخريب والتهديم الذي طال جل المدن الجزائرية.

وبما أن السكان المحليين قد شاركوا في تأسيس المدينة الإسلامية، قلنا لا مانع من كلام عن الفترة التي سبقت التأسيس، و ذلك تعبيرا عن التطور، والتحضر الذي عرفه السكان المحليين.

- **فترة ما قبل التاريخ والفترة القديمة:**

أكدت الحفريات والمخلفات الأثرية عن وجود محطات تعود إلى فترة ما قبل

[1] نفسه، ص53.

التاريخ تحتوي على بقايا لصناعات و الأدوات حجرية التي كانت منتشرة على مساحة معتبرة من بينها كهوف، و مغارات، بالإضافة إلى مسطحات مكشوفة[1].

أكد (J) Lorcin من خلال دراسته التي قام بها في هذه المواقع أنها تعود إلى الحضارتي الإبيرو مغربية والعاترية، زد على ذلك فإن الأدوات المعثور عليها تعود إلى العصر النيوليتي[(2)]، و يؤرخ لهذه الحضارات ما بين 13000، و8000 سنة ق.م، وفيما يخص الحضارة الإبيرو . مغربية، أمّا العاترية فهي ما بين 30000، و 16000 سنة ق .م[2].

إن استقرار الإنسان في المنطقة منذ ما قبل التاريخ يوحي أنها كانت مقصدا للمجموعات البشرية لتوفر كل مقومات الحياة، ونظرا للموقع الجغرافي الذي تحتله ولكونه نقطة وصل بين الداخل و الساحل بواسطة وادي علالة أهلها ذلك لأن تكون محل أنظار رجال البحر الفينيقيين الذين ألفوا إنشاء المحطات التجارية على طول سواحل البحر الأبيض المتوسط حيث أشأوا الميناء، وأطلقوا على المحلة اسم كرتينة(Cartenna)[3].

تأسست تنس كمستوطنة رومانية في عهد الإمبراطور أغسطس (Auguste) على يد فرقته العسكرية الثانية (Augusti – legio – secunda) ، ولما دخل الرومان إلى المنطقة توسع عمرانهم إلى الأعلى، و هذا ما سارت عليه جل المدن الساحلية

---

[1] J. Lorcin, << Les stations préhistoriques du cap Ténès>>, IN Revue Libyca, 1961 . 1962, pp 13 – 56.

[2] G. Camps,<< Chronologie absolue et succession des civilisations préhistoriques dans le Nord de L'Afrique>> IN Revue Libyca, N° 21, 1968, pp 9 – 28.

[3] فون مالتسان هاينريش، ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا، ترجمة أبو العيد دودو، ج1 الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دت، ص211.

التي تعود إلى الفترة الفينيقية، و حظيت تنس بنفس الأهمية التي أنشئت من أجلها، كمركز للتبادلات التجارية، و حمل المنتوج الزراعي إلى روما عبر مينائها[1].

من الشواهد المادية التي تؤكد هذه الحقائق التاريخية نجد المقبرة المسيحية الموجودة أسفل الأسقفية، والتي تم العثور عليها سنة 1937 م[(3)]، وكذلك مجموعة من الحلي قام بدراستها هيجو (Heurgon)، ولوحتين من الفسيفساء، وهما محفوظتان بالمتحف الوطني للآثار القديمة بالجزائر، و يطلق على الأولى اسم الفسيفساء الشرقية تحت رقم (N° - I N V. I M. 010)، والثانية تحت رقم (N° - INV. IM 004.)، وتمثل مشاهد لصيد الحيوانات، و هما معروضتان في قاعة العرض.

احتل الواندال مدينة تنس الرومانية سنة 428 م، وخربوها ففر سكانها إلى أعالي الجبال المحيطة بالمدينة، ولما قدم البيزنطيون إلى شمال إفريقيا دخلوا المدينة عن طريق البحر، ولم يتمكنوا منها عن طريق البر لتحصن البربر في الجبال، وشنّ هجومات عليهم خاصة لكون الطريق البري صعب المسالك، و به إلتواءات ضيقة صعبة المرور هذا ما أدى بالبيزنطيين للتحصن بالمدينة، و بناء أسوار، وأبراج للمراقبة[2].

- ***الفترة الإسلامية:***

لقد ذكر الأستاذ عبد العزيز السالم أن مدينة تنس لعبت دورا اقتصاديا وتجاريا هام في عهد الدولة الرستمية، ولا أدري من أين أتى بهذه المعلومة، لعلمنا أن الدولة الرستمية

---

1 ST. Gsell,<< Colonia Augusti legio II>>, Atlas Archéologique T1, p 12 – . 20.

2 G. Berbrugguer,<< Antiquités du cercle de Ténès>>, IN Revue, N° 2, 1857, p4.

تأسست سنة 144 هـ / 761 م، وسقطت على أيدي العبيدين سنة 296 هـ / 909 م، وتنس تأسست سنة 262 هـ / 876 م، وفي هذه الفترة كانت عبارة عن مجموعة من الخيام المنصوبة بسفح جبل ظهرة، ثم استوبأت فخرج معظم ساكينها إلى غاية دخول سكان سوق إبراهيم إليها(2)، أما الميناء فهو صيفي كان البحارة الأندلسيين يشتون به، ولاجرم أن هؤلاء البحريون كانت تربطهم علاقات تجارية مع القبائل البربرية التي كانت تسكن الجبال المطلة على ميناء تنس (هذا قبل التأسيس)[1].

لعب الميناء دورا هاما بين الأندلس والدولة الرستمية، وتتصل المسالك التجارية به وبمدينة تاهرت[2] عاصمة الدولة الرستمية، وهي مركز تجاري حساس يربط مسالك الصحراء بالأندلس، و جزر البحر الأبيض المتوسط عن طريق ميناء تنس فالدولة الرستمية لم يكن لها منفذ إستراتيجي إلى مياه البحر المتوسط إلا ميناء تنس لكون الموانئ الشرقية للجزائر كانت تحت سيطرة الدولة الأغلبية[3].

---

[1] عبد العزيز السالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، مصر 1982 م، ص 491.

[2] تاهرت: اسم مدينتين مقابلتين، يقال لإحداها تاهرت القديم، و للأخرى الحديث، وهما كثيرة الأشجار وافرتا الثمار سفرجلهما يفوق سفرجل الآفاق طعما، و حسنا. وبهما كثرة الأمطار والضباب، وشدة البرد، قلما ترى الشمس، و هي مدينة تاريخية من مدن المغرب الأوسط من عمالة وهران كانت عاصمة الدولة الرستمية. للتوسع أنظر: زكريا القزويني، آثار البلاد و أخبار العباد، دار الصادر، بيروت، (د ت)، ص 169.

[3] الحبيب الجنحاني، المغرب الإسلامي الحياة الاقتصادية و الاجتماعية (3 – 4 هـ / 9 – 10 م)، دار التونسية للنشر، تونس، 1398 هـ / 1978 م، ص 19.

وكانا ميناءا تيبازا وشرشال صغيران ويبعدان على الساحل الشمالي للمتوسط عكس ميناء رأس تنس، فوجدت من سكان مدينة تنس القاطنين على جبل الظهرة الشريك الإستراتيجي في عمليات التبادل التجاري بينها و بين المجموعات البحريين الأندلسيين الذين ألفوا أن يرسوا في ميناء تنس طوال فصول الشتاء، و الربيع إلى حلول موسم الحصد، وجني الثمار التي تصدر إلى الأندلس، بالإضافة إلى معدن الذهب المستورد من السودان الغربي عبر سجلماسة[1].

ويؤكد هذا الكلام اليعقوبي المتوفي سنة 284 هـ / 897 م- 898 م، الذي يبين أهمية الميناء، وقربه من ساحل الأندلس، ولم يشر للمدينة رغم مرور 18 سنة من تأسيسها عن وفاته: "ومن أراد جزيرة الأندلس نفذ من القيروان إلى تونس..فركب البحر المالح، يسير فيه مسيرة عشرة أيام مسحلا غير موغل حتى يحادي جزيرة الأندلس من موضع يقال له تنس...بينه و بين تاهرت مسيرة أربعة أيام..."، لذلك كان بالأجدر على الأستاذ عبد العزيز السالم أن يشير للميناء لا للمدينة[2].

حقا لقد كانت الأندلس بحاجة ماسة لهذه التبادلات التجارية، و للمواد التي تحتاجها لتطورها المعماري والفني، لذلك ربطت مع الدولة الرستمية علاقات وطيدة هذا عبر ميناء تنس، إلى غاية تأسيس المدينة، وهجرة سكان سوق إبراهيم إليها فأصبحت

---

[1] الحبيب الجنحاني: << المجتمع العربي الإسلامي، الحياة الاقتصادية و الاجتماعي >> مجلة عالم المعرفة، العدد 319 ، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، سبتمبر 2005 م، ، ص 79.

[2] أحمد ابن أبي يعقوب اليعقوبي، كتاب البلدان، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان 1419 هـ / 1988 م ، ص 110.

مدينة تنس رسميا تابعة للدولة الإدريسية، كما أن النصوص التاريخية خاصة ما أورده ابن خلدون من أن تنس بعد التأسيس كانت من أقاليم تلمسان تابعة للدولة الإدريسية يحكمها أمراء سليمانيون من نسل سليمان بن عبد الله الكامل[1].

وإذا نظرنا إلى حدود الجزائر الإدريسية وجدناها لا تتعدى الشمال الشرقي لمدينة وهران[2] وواد شلف، ومن جهة الجنوب سهول غريس بناحية معسكر إلى جبال مديون قبلي فاس، و لذلك يمكن أن نقول أنها تمتد على الساحل من الريف غربا إلى أرض الحضنة من عمالة قسنطينة شرقا ثم تعود بناحية تنس غربا، وجنوب . شلف إلى مليانة وتنتهي بمتيجة[3].

---

[1] عبد الرحمن ابن خلدون، كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط 3، ج 3، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر بيروت، لبنان، 1967 م، ص 35.

[2] وهران: بنتها مغراوة بإذن من أمراء الأندلس الأمويين، وأن الذي بنها من مغراوة هو خزر بن حفص ابن صولات بن وزمار بن صقلاب، و أن الخليفة الأموي الذي أمر ببنائها هو عبد الرحمن بن الحاكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل خليفة الأندلسين في القرن الثالث الهجري.

ـ أنظر: . الأغا بن عودة المازاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران و الجزائر و أسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق: يحي بوعزيز، ج1، ط 1، ، دار المغرب الإسلامي بيروت، 1990 م، ص 85. و كذلك: . أبو عبيد البكري، المصدر السابق، ص 116.

[3] عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ط2، ج1، منشورات دار مكتبة الحياة، لبنان 1384 هـ، 1984 م، ص 247، وانظر أيضا: مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، ط1، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981 م، ص46.

ثم نجد هذه المدينة خضعت للدولة الإدريسية تابعة لها، ثم الفاطميين، وبعدها الزيريين والحماديين، والمرابطين والموحدين، ثمّ الحفصيين والزيانيين، العثمانيين، ثمّ الاحتلال الفرنسي[1].

- **النسيج العمراني للمدينة:**

يقوم النسيج العمراني في بلد من البلدان وفق التقاليد الحضارية السائدة في ذلك البلد، والتي غالبا ما تكون صادقة إلى أبعد الحدود، كما أنها لا تكون إلا من خلال تفاعلات كثيرة، أهمها العوامل المشتركة في الحياة الاجتماعية، والاستجابة للشروط الحضارية التي يسير عليها المجتمع وفقا للتقاليد، والنظم المتفق عليها في العمارة الإسلامية، سواء كان ذلك في الحواضر، والأمصار الكبرى، أو في المدن الصغيرة ذات النسيج العمراني الجديد[2].

- **تخطيط مدينة تنس:**

يتحكم في تخطيط المدينة موقعها الجغرافي، والهدف الذي شيدت من أجله هذا الأخير هو الذي يحدد تطور، وانحطاط المدينة أو تقلصها. فمدينة تنس ساحلية الموقع لدى وجب مراعاة شروط تأسيس مثل هذه المدن، فحسب ابن خلدون فإن شروط بناء

[1] محمد موشموش، مساجد مدينة تنس، مذكرة الماجستار في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر 2، معهد الآثار، الجزائر، 2008 / 2009، ص3 – 80.

[2] محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، 1999 م ص97.

المدن الساحلية تتوقف على أمور أساسية: " وممّا يراعى في البلاد الساحلية التي على البحر أن تكون في جبل، أو تكون بين أمة من الأمم موفورة العدد تكون صريخا للمدينة متى طرقها طارق من العدو، والسبب في ذلك أن المدينة إذا كانت حاضرة البحر ولم يكن بساحتها عمران للقبائل أهل العصبيات، ولا موضعها متوعر من الجبل كانت في غرة للبيات وسهل طروقها في الأساطيل البحرية على عدوها و تحيّفه لها، لما يأمن من وجود الصريخ لها، وأن الحضر المتعودين للدّعة قد صاروا عيالا، وخرجوا عن حكم المقاتلة، وهذه كالإسكندرية من المشرق، وطرابلس من المغرب و بونة وسلا،و متى كانت القبائل والعصائب متوطنين بقربها بحيث يبلغهم الصريخ و النفير، و كانت متوعرة المسالك من يرومها بإختطاطها في هضاب الجبال، و على أسنمتها، كان لها بذلك منعة من العدو، صريخا كما في سبة، وبجاية، والقل على صغرها..." [1].

ورغم أن ابن خلدون لم يذكر مدينة تنس، ومدى استجابتها للشرطين الذي وضعهما- ابن خلدون عاش في الفترة التي تدهورت فيها الحالة الأمنية، والاقتصادية للمدينة بسبب الحروب التي كانت بين قبيلة مغراوة، والدولة الزيانية – إلّا أننا نقول أن المدينة تمتاز بموقعها الإستراتيجي المحصن طبيعيا من خلال الجبال التي تحوم عليها من الجهات الثلاثة ماعدا الجهة الشمالية، بالإضافة إلى الأسوار، والأبراج التي تحيط بها مما جعلها في مأمن من جهة البحر، وما يلاحظ و نحن نتصفح مخطط المدينة، أن جدارها الجنوبي يحتوي على بابين، وهذا ليس بغريب لكونهما ينفتحان إلى الجبال التي عادة ما كانت ملجئ للعمال والرعية في حالة تمكن العدو من المدينة، وفي الجهة المقابلة، أي

[1] عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، ج2، ص 787.

الشمالية نجد باب واحد يحد و يقلل من تدفق الجيش المعادي، أمّا جبال مدينة تنس مملوئة بالقبائل البربرية التي تعود كلها إلى قبيلة مغراوة الأم، وقد ذكر ذلك ابن حوقل بقوله: "...و لها بادية من البربر كثيرة وقبائل فيها أموالهم جسيمة و غزيرة...."[1].

ومن المتفق عليه عند جميع الأثرين والمختصين في المدينة الإسلامية أن أول ما يختط بالمدينة الإسلامية هو المسجد الجامع، ومن حوله كانت توضع خطط المدينة وتنتهي إليه شوارعها وسككها وأزقتها، وذلك لمكانته الدينية كمؤسسة متعددة الوظائف في المدينة من جهة، وإتباعا لسنة النبي (صلى الله عليه وسلم) من جهة أخرى، حيث كان مسجده بالمدينة المنورة في مقدمة الأعمال المعمارية التي قام بها الرسول صلى الله عليه وسلم[2]، ولم تقتصر وظيفة المسجد على كونه مكانا للصلاة فقط، بل أنه يعتبر مركزا للتعليم الديني، حيث يجلس فيه الكبار والصغار، من مختلف المستويات الاجتماعية والاقتصادية في حلقات لتلاوة القرآن، أو للاستماع إلى درس الفقيه، إذ كثيرا ما يكون المسجد الملجأ الذي يلوذ إليه المتشردون والمظلومون أين يجدون فيه المأوى، ويتلقون فيه الصدقات، فقد سارت مدن الأمصار الناشئة على هذا المنهج في اختيار موضع متوسط في المدينة لإقامة المسجد الجامع، ومن أمثلة ذلك البصرة، و الكوفة، والفسطاط والقيروان، حيث أصبح

[1] أبو القاسم ابن حوقل، كتاب صورة الأرض، مكتبة الحياة، بيروت، (دت)، ص78

[2] سعيد ناصف، المدينة الإسلامية، دراسة في النشأة التحضر، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة (دت)، ص55.

هذا الاتجاه قاعدة تقليدية في المدن الإسلامية بعد ذلك كما في واسط، وبغداد، وفاس، وتلمسان وغيرها من المدن الإسلامية[1].

فمدينة تنس سارت على هذه الخطة، إلا ما يمكن القول حول توسط المسجد الجامع للمدينة الإسلامية، فمدينة تنس قد خرجت عن هذه القاعدة، فالمسجد الجامع يقع أعلى مكان بالمدينة بعيدا عن مركزها، وهذا ما كان بقرطبة في الفترة الأموية، وهي في ذلك تخضع للعمران الريفي أكثر من خضوعها في هذا إلى نمط العمران الحضري[2].

أمّا في مدينة تنس فنجد دار الإمارة ملاصقة للمسجد الجامع، أما السوق فيقع في أسفل المدينة، وفي الجهة الشمالية لكون المدينة ألف الغرباء الدخول إليها لبيع تجارتهم التي سوف تصدر إلى خارج المدينة، ولذلك كان من الضروري وضعه بعيدا عن مركز المدينة. و من هذا المنظور فإن مدينة تنس تشبه في تخطيطها العمراني مدينة ندرومة وخاصة في موقع الجامع بالجهة العليا، و السوق بالجهة السفلى[3].

عند الانتهاء من بناء هذين العنصرين يتم بعد ذلك بناء المنازل والدور والحمامات والفنادق وغيرها من المباني المدنية المخصصة للرعية وفقا لشروط حضارية تدعوا إلى المحافظة والتزام الحشمة، لذلك بنيت مساكن المدينة بشكل أو بنمط النظام التراتيب

---

[1] محمد عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص 239.

[2] Golvin (L), Essai sur l'architecture religieuse musulmane, T4, Editions Klincksieck, Paris, 1970.p126

[3] فرحات مختاري، دراسة النسيج المعماري لمدينة ندرومة، مذكرة لنيل شهادة ليسانس في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 1995 م، ص 26.

القائم على تجاور، وتلاصق الوحدات السكنية، وتماسك أحدها على الآخر على شكل كتلة واحدة تفصلها، وتتخللها امتدادات الطرقات وإلتواءات الشوارع ضيقا وتشعبا تفرعا أشبه بأسلوب شرايين القلب، ومنها التي تتوقف عند أحد المنازل، وهذه تسمى الدرب على هذا النمط سارت مدينة تنس، ولا زالت تحافظ على هذا النموذج حتى الآن[1].

أولا. قائمة المصادر والمراجع باللّغة العربية:

[1] محمد عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص 239.

1. المصادر /

- ابن حوقل (أبو القاسم) ، **كتاب صـورة الأرض**، مكتبة الحياة، بيروت، (دت)،.
- ابن خلدون (عبد الرحمن) ، **كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ط 3، ج 3، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر بيروت، لبنان، 1967 م
- المازاري (الأغا بن عودة)، **طلوع سعد السعود في أخبار وهران و الجزائر وأسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر**، تحقيق: يحي بوعزيز، ج1، ط 1، ، دار المغرب الإسلامي بيروت، 1990 م.
- اليعقوبي (أحمد ابن أبي يعقوب) ، **كتاب البلدان**، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان 1419 هـ / 1988 م.

2. المراجع /

- برودويل (فرنان)، **المتوسط والعالم المتوسطي**، تعريب: مروان أبي سمرا، ، دار المنتخب، بيروت،، 1993 .
- بلحميسي (مولاي)، **الجزائـر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني**، ط1، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائـر، 1981 م.
- الجنحاني (الحبيب)، **المغرب الإسلامـي الحياة الاقتصادية والاجتماعيـة (3 – 4 هـ / 9 – 10 م)**، دار التونسية للنشر، تونس، 1398 هـ / 1978.
- الجيلالي عبد (الرحمن) ، **تاريخ الجزائر العام**، ط2، ج1، منشورات دار مكتبة الحياة، لبنان 1384 هـ، 1984.

- حساني (مختار)، **تاريخ الدولة الزيانية**، الأحوال الاجتماعية، منشورات الحضارة، 2009.
- حليمي (عبد القادر)، **جغرافية الجزائر (الطبيعية، البشرية، الاقتصادية)**، ط2، مطبعة الإنشاء سوريا، 1968م.
- السالم (عبد العزيز)، **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي**، مؤسسة شباب الجامعة، مصر 1982 م.
- عبد الستار (محمد عثمان)، **المدينة الإسلامية**، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، 1999 م.
- عمارة وآخرون (علاوة)، **مغرب أوسطيات، دراسات في تاريخ وحضارة الجزائر في العصر الإسلامي الوسيط**، ط1، منشورات مكتبة إقرا، الجزائر، 2013.
- فيلالي (عبد العزيز)، **العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
- لمغربي (ابن سعيد)، **كتاب الجغرافيا**، تحقيق العربي إسماعيل، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982 م.
- ناصف (سعيد)، **المدينة الإسلامية**، دراسة في النشأة التحضر، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة (دت).
- هاينريش (فون مالتسان)، **ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا**، ترجمة أبو العيد دودو، ج1 الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دت.

3. المقالات والمحاضرات /

- الجنحاني (الحبيب)، "المجتمع العربي الإسلامي، الحياة الاقتصادية و الاجتماعي" **مجلة عالم المعرفة**، العدد 319 ، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، سبتمبر2005 .
- طوهارة (فؤاد)" الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأوسط السياق التاريخي والمجال الجغرافي "، **مجلة حوليات التراث**، العدد 15، جامعة قالمة، الجزائر، 2015

5. الرسائل الجامعية /

- سيدي محمد (عمارة)، **هجرة الأندلسيين إلى بلاد المعرب الأوسط خلال القرن (7هـ/13م) ودورهم الثقافي، مذكرة الماجستار**، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، السانيا، الجزائر، 2014.
- مختاري (فرحات)، **دراسة النسيج المعماري لمدينة ندرومة**، مذكرة لنيل شهادة الماستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 1995 م
- موشموش (محمد)، مساجد **مدينة تنس، مذكرة الماجستار في الآثار الإسلامية**، جامعة الجزائر 2، معهد الآثار، الجزائر، 2008 / 2009.

ثانيا. قائمة المصادر والمراجع باللّغة الأجنبية/

1. المراجع/

- Golvin (L), **Essai sur l'architecture religieuse musulmane**, T4, Editions Klincksieck, Paris 1970
- Gsell (ST.), << Colonia Augusti legio II>>, **Atlas Archéologique** T1.

2. المقالات والمحاضرات /

- Berbrugguer (G.**),<< Antiquités du cercle de Ténès>>, IN Revue**, N° 2, 1857.
- Camps (G.**),<< Chronologie absolue et succession des civilisations préhistoriques dans le Nord de L'Afrique>> IN Revue Libyca**, N° 21, 1968.
- Lorcin (J.), << **Les stations préhistoriques du cap Ténès>>, IN Revue Libyca**, 1961 . 1962.